

الأمثال النبوية وبلاغتها

الدكتور صاحب إسلام

The use of similes, metaphors, proverbs and idioms is given its due prestige in the annals of literature.

To mention their use in the Islamic literature especially in the sayings of our Holy Prophet (PBUH) renders an ease and comfort in order to elaborate upon the Islamic teachings. It not only enhances interest but renders an inexplicable charm to explicate Islamic teachings so as to make them easy to comprehend. The use of figurative language enhances the rhythmic flow and charm of language and thus brings in a huge impact on literature. It is in this way that the proselytization task be done in an easy effective manners.

الحمد لله على آلائه وصلواته على محمد خاتم أنبيائه وعلى آله وأصحابه
وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

التشبيهات وضرب الأمثال والاستعارات من أهم مباحث علم البلاغة، والغرض الأساسي من ذكر هذه المباحث في الأدب الإسلامي وخاصة في الأحاديث النبوية هو تقريب المعاني إلى الذهن وإدراكه بسرعة لأن هذا الأسلوب هو أشد وأقوى تأثيراً من الأفكار الذهنية المجردة وقد كثر الاعتماد على هذا في الأحاديث النبوية الشريفة.

ويوجد التنوع في الأمثال النبوية كصفة ظاهرة فيها والنبوي صلى الله عليه وسلم تنوع في ضرب المثل والممثل، فأحياناً ينسب المثل إلى الله عز وجل كما في قوله عليه السلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن النواس بن سمعان رضي الله عنه (إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً)^١ الحديث وأحياناً

* الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية، مركز الشيخ زايد الإسلامي، جامعة بشاور.

ينسب ضرب المثل إلى نفسه صلى الله عليه وسلم كما في حديث الذي خرج الإمام مسلم في صحيحه البخاري والذي مثل فيه حاله مع الأنبياء قبله^٢ وتارة يسند ضرب المثل إلى الملائكة اللاتي جنن كما في حديث البخاري في قصة الملائكة الذين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم والشاهد فيه أنهم قالوا إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً فاضربوا مثلاً لحاله مع أمته.^٣

ويجد القارئ التنوع في عنوان المثل والأغراض التي سيقت لأجلها، ومواقع ضرب الأمثال متعددة وأغراضها شتى منها الإيمانيات والعبادات والأخلاق والزهد والعلم والدعوة وفضائل الأعمال والترغيب والترهيب وما إلى ذلك. وكثر الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب العرض وطريقة ضرب المثل، فوضع لضربه أساليب متعددة وطرقاً مختلفة.

وصار في ذلك كل سبيل ما من شأنه إيضاح المراد وتبيين المقصود وإظهاره ماثلاً أمام الأعين فمن تلك الطرق استعمال الإشارة التي تلفت أنظار السامعين وتعينهم على الفهم وتشارك فيها الحواس المختلفة في العملية التعليمية فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة، والتذكر بذلك أدعى ونظراً لأهداف تربوية فقد رغب صلى الله عليه وسلم في ضرب المثل في الوقائع والأحداث والمواقف المتعددة ففي بعض الأحيان كان النبي صلى الله عليه وسلم يرد رداً مباشراً ولكنه يُرجح ضرب المثل لما فيه من توجيه تربوي ويصل إلى المعنى المراد بسرعة في حين لا يلعب غيره مثل هذه الدور.

وفي يوم من الأيام رأى الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم نائماً على حصير مؤثر في جانبه فقالوا له: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اتخذنا لك فرشاً ناعماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها.^٤

هذا موقف من مواقف الحياة ومشهد من مشاهدها، ومثل ذلك كثير تمر في حياة الناس، والناس لا يهتمون بها ولا يلغون لها بالاً ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يجد فيها أداة مناسبة للتوجيه والتعليم كمرور النبي صلى الله عليه وسلم على سخلة منبوذة ومعه الصحابة رضي الله عنهم فقال لهم: أترون هذه هانت على أهلها

فيقولون يا رسول الله من هوانها ألقوها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فو الذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها)°.

هذه الشواهد - وغيرها كثيرة تؤكد مكانة الأمثال في السنن النبوية وإهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها، وضرورة الإعتناء بالأمثال النبوية جمعاً وتحليلاً ودراسةً، والإستفادة المثلى منها في مناهجنا التعليمية وبرامجنا التربوية والدعوية.

أحاول في هذا البحث أن ألقى ضواً على بعض الأحاديث التي تشتمل على بعض النكت البلاغية من التشبيهات والإستعارات والأمثال وما إلى ذلك، وفي البداية أوضح بعض المصطلحات البلاغية التي ورد ذكرها في المبحث تيسيراً على القارئ ثم أضرب أمثلة من الأحاديث.

المصطلحات البلاغية الواردة في المبحث

المصطلحات البلاغية كثيرة ترد في علم البلاغة التي لا يمكن حصرها في هذا المبحث، إلا أننا نكتفي بذكر بعض التعريفات التي يرد ذكرها في هذا المبحث، وهي المثال، والإستعارة والتشبيه وما إلى ذلك.

أولاً: المثل والمثال:

تعريفه لغة: يرد على عدة معان، منها:

- ١- الشبه والنظير: يقال هذا مثله و مثله كما يقال شبيهه وشبهه.
- ٢- الصفة: يقال: مثل الشيء بفتحتين صفته.
- ٣- النكال: يقال: مثل به اي نكل به وبابه نصر والاسم المثلثة بالضم و مثل بالقتيل جدعه وبابه أيضا نصر و المثلثة بفتح الميم وضم الثاء العقوبة والجمع المثلات.
- ٤- الانتصاب: يقال: مثل بين يديه اي انتصب قائما وبابه دخل.
- ٥- التصوير: مثل له كذا تمثيلاً إذا صور له مثله بالكتابة أو غيرها و التمثال الصورة والجمع التمثيل.

- ٦- والأولى والأحسن: يقال فلان أمثل بني فلان أي أذناهم للخير وهؤلاء أمثال القوم أي خيارهم و المثلى تأنيث الأمثل كالقصى تأنيث الأقصى.

تعريفه اصطلاحاً:

المثل عبارة عن قول في شيء قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره.^٧

والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظر ثم قيل للقول السائر الممثل مضره بمورده مثل والمراد به هنا الصفة.^٨

وايضاً: المثل أمر ظاهر للحس ونحوه يعتبر به أمر خفي يطابقه فيفهم معناه باعتباره. وقال في موضع آخر المثل ما يتحصل في باطن الإدراك من حقائق الأشياء المحسوسة فيكون الطلب من الشيء المحسوس فيقع لذلك جالبا لمعنى مثل المعنى المعقول.^٩

ثانياً: التشبيه:

تعريفه لغة: التشبيه من الشبه وشبه وشبه لغتان بمعنى. يقال هذا شبهه أي شبيهه وبينهما شبهة بالتحريك والجمع مشابهة على غير قياس كما قالوا محاسن ومذاكير والشبهه الالتباس والمشتبهات من الأمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات وتشبهه فلان بكذا والتشبيه التمثيل وشبهه فلان فلانا وشابهه واشتبهه عليه الشيء والشبهه والشبهه ضرب من النحاس.^{١٠}

وايضاً التشبيه في اللغة الدلالة على مشاركة أمر بآخر في المعنى فالأمر الأول هو المشبه والثاني هو المشبه به وذلك المعنى هو وجه التشبيه ولا بد فيه من آلة التشبيه وغرضه والمشيبه.^{١١}

تعريفه اصطلاحاً:

وفي اصطلاح علماء البيان هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه كالشجاعة في الأسد والنور في الشمس.^{١٢}

أنواع التشبيه:

١- وهو إما تشبيه مفرد كقوله صلى عليه وسلم (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً)^{١٣} وجه الدلالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شبه العلم بالغيث وما ينتفع به من الأرض الطيبة وما لا ينتفع به من القيعان، فهي تشبيهات مجتمعة.

٢- أو تشبيهه مركب كقوله إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فهذا هو تشبيه المجموع بالمجموع لأن وجه الشبه عقلي منتزع من أمور فيكون أمر النبوة في مقابلة النبيان.^{١٤}

ثالثا: الإستعارة

تعريفها لغة:

لإستعارة من العارية وهي تأتي بمعنى:

١ - أخذ الشيء من الآخر أو إعطاء الشيء لآخر: يقال إستعرت منه عارية فأعاريته.^{١٥}

٢- التداول:

وهو أن تجعله من التّعاورِ يقال إستعرتنا الشيء واعتورناه وتعاورناه بمعنى واحد وقيل مُستعار بمعنى متعاور أي متداول ويقال تعاور القوم فلاناً واعتوروه ضرباً إذا تعاونوا عليه فكلماً أمسك واحد وضرب واحد والتعاور عام في كل شيء وتعاورت الرياح رسم الدار حتى عفته أي تواظبت عليه وتداولته فمرة تهب جنوباً ومرة شمالاً ومرة قبولاً ومرة دبوراً.^{١٦}

تعريفها اصطلاحاً:

١- الإستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفسح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيّره المشبه وتجريه عليه تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول: " رأيت أسداً".^{١٧}

الإستعارة ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين، كقولك لقيت أسداً و أنت تعني به الرجل الشجاع، ثم إذا ذكر المشبه به مع ذكر القرينة يُسمى إستعارةً تصريحيةً و تحقيقيةً نحو لقيت أسداً في الحمام، و إذا قلنا ألميةً أي الموت أنشبت، أي علقت أظفارها بفلان فقد شبهنا المنية بالسبع في اغتيال النفوس أي هلاكها من غير تفرقة بين نفاع و ضرار فأنبتنا لها الأظفار التي لا يكمل ذلك الإغتيال فيه بدونها تحقيقاً للمبالغة في التشبيه فتشبيه المنية بالسبع

إستعارة بالكناية وإثبات الأظفار لها إستعارة تخيلية والإستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية كنطقت الحال.^{١٨}

ومن أنواعها الإستعارة بالكناية وهي إطلاق لفظ المشبّه وإرادة معناه المجازي، وهو لازم المشبّه به.

ومنها الإستعارة التبعية أن يستعمل مصدر الفعل في معنى غير ذلك المصدر على سبيل التشبيه ثم يتبع فعله له في النسبة إلى غيره نحو كَشَفَ فَإِن مصدره هو الكَشَفُ فاستعير الكشف للإزالة ثم استعار كشف لأزال بعا لمصدره يعني أن كشف مشتق من الكشف وأزال مشتق من الإزالة أصلية فأرادوا لفظ الفعل منهما وإنما سميتها إستعارة تبعية لأنه تابع لأصله.

ومنها الإستعارة التخيلية هي إضافة لازم المشبّه به إلى المشبّه.

ومنها الإستعارة الترشيحية وهي إثبات ملامم المشبّه به للمشبّه.^{١٩}

ومنها الإستعارة المكنية هي تشبيه الشيء على الشيء في القلب.^{٢٠}

رابعاً: المجاز

تعريفه لغة:

هو ضد الحقيقة من جاوزَ الشيء إلى غيره تجاوزَهُ بمعنى أي جازاهُ وتجاوزَ الله عنه أي عفا.^{٢١}

تعريفه اصطلاحاً:

الحقيقة لفظ مستعمل فيما وضع له أولاً المجاز لفظ مستعمل بوضع ثان لعلاقة.^{٢٢}

والمجاز اللغوي هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح به التخاطب مع قرينة مانعة عن إرادته أي إرادة معناها في ذلك الاصطلاح والمجاز المركب هو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي للمبالغة في التشبيه كما يقال للمتردد في أمرٍ إني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى.^{٢٣}

وفيما يأتي بعض الأحاديث النبوية التي وردت فيها المثل نقدمها كنماذج أدبية وبلاغية لأغراض شتى من إدراك المعاني في صور محسوسة وتقريبها إلى

ذهن السامع والقاري ليكون التأثير بتلك الأمثال والتشبيهات أشد وأقوى من الأفكار الذهنية المجردة.

وهذا الأسلوب يفيد جدا فيأمور العقيدة والعبادة والأخلاق والزهدي والتعليم والدعوة وفضائل الأعمال والترغيب والترهيب وما إلى ذلك. وإليكم هذه الأمثال النبوية في الأحاديث المباركة.

الحديث الأول

عن عامر قال سمعته يقول سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عَضُوهُ تَدَاعَى سَاعِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحِمَى."^{٢٤}

مفهوم الحديث:

مثل المؤمنين الكاملين في الإيمان في التواصل الجالب للمحبة أن يرحم بعضهم بعضا نحلوة الايمان لا لشيء آخر و إعانة بعضهم بعضا و يرحم بعضهم نحلوة الإيمان لا لشيء آخر مثل الجسد الواحد بالنسبة لجميع أعضائه إذا مرض منه عضو سبب لباقي الجسد فقدان النوم والراحة ويتألم كل الجسد بتألم العضو المريض.

لفظ الحديث خبر ومعناه أمر، أي كما أن الرجل إذا تألم بعض جسده سرى ذلك الألم إلى جميع جسده فكذا المؤمنون شأنهم شأن نفس واحدة إذا أصاب بعضهم مصيبة عمّت جميع المسلمين وقصدوا إزالتها.

ويستفاد من الحديث:

١. تعظيم حقوق المسلمين والحض على معاونتهم وملاطفة بعضهم بعضا.^{٢٥}
٢. جواز التشبيه وضرب الامثال لتقريب المعاني إلى الافهام.^{٢٦}

بلاغة الحديث:

هذا الحديث فيه تشبيه تفصيله كالآتي:

- المشبّه: هو الإيمان وأهله.
- المشبّه به هو الجسد والأعضاء.

• وجه التشبيه هو التوافق في التعب والراحة.

فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف، فإذا أدخل المرء بشيء من التكاليف كان ذلك إخلاصاً بالأصل وكذلك الجسد أصل كالشجرة وأعضاؤه كالأغصان، فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها كالشجرة، إذا ضرب عُصْنٌ من أغصانها، اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والاضطراب^{٢٧} ففيه تشبيه حال المؤمنين في التعب والراحة بالجسد الواحد، إذا مرض منه عضو، قال ابن حجر في فتح الباري: ووجه التشبيه فيه التوافق في التعب والراحة.^{٢٨}

والهدف من التشبيه في هذا الحديث هو تقريب للفهم وإظهار المعاني في الصور المرئية فتشبيهه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية.^{٢٩}

الحديث الثاني

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبّهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشُّبُهَاتِ فقد استَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ومن وقع في شُبُهَاتِ وقع في الحرام، كالزراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب.^{٣٠}

مفهوم الحديث:

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الشريعة قال العلماء: الإسلام يدور على أربعة أحاديث ذكر منها هذا الحديث، وأجمع العلماء على عظيم موقعه وكثير فوائده. وقالوا أيضاً إن الأشياء ثلاثة أقسام : فما نص الله على تحليله فهو الحلال، كقوله (اليَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ).^{٣١} وكقوله (وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ) ^{٣٢} نحو ذلك وما نص الله على تحريمه فهو الحرام البين مثل قوله تعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ).^{٣٣} (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ

صَيِّدُ الْبَيْرِ مَا دُمْتُ حُرْمًا^{٣٤} وكتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وكل ما جعل الله فيه حدا أو عقوبة أو وعيدا فهو حرام، وأما المُشْتَبِهَاتُ فهي كل ما تتنازعه الأدلة من الكتاب والسنة وتتجاذبه المعاني فالإمساك عنه ورع.

فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم المكلف بالراعي والنفس البهيمية بالأنعام والمشتبهات بما هو حول الحمى والمعاصي بالحمى وتناوله المشتبهات بالرَّعْ حَوْلَ الْحِمَى فهو تشبيهه بالمحسوس الذي لا يخفى حاله.

وقد اختلف العلماء في المشتبهات فقالت طائفة: هي حرام لقوله استبرأ لدينه وعرضه قالوا: ومن لم يستبرأ لدينه وعرضه فقد وقع في الحرام.

وقال الآخرون: هي حلال بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث كالراعي يرعى حول الحمى فيدل على أن ذلك حلال وأن تركه ورع وقالت طائفة أخرى: المشتبهات المذكورة في هذا الحديث لا نقول إنها حلال ولا إنها حرام، فإنه صلى الله عليه وسلم جعلها بين الحلال البين والحرام البين فينبغي أن نتوقف عنها وهذا من باب الورع أيضا.^{٣٥}

بلاغة الحديث:

وتفصيل التشبيه في الحديث كالاتي:

- المشبّه: هو المكلف، والنفس البهيمية والمعاصي وتناول المشتبهات.
 - المشبّه به: هو الراعي والأنعام والحمى والرَّعْ.
 - وجه الشبه: هو حصول العقاب بعدم الاحتراز في ذلك فكما أن الراعي إذا جرّه رعيه حول الحمى إلى وقوعه في الحمى استحق العقاب بسبب ذلك، فكذلك مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الشَّبِهَاتِ وتعرض لمقدماتها، وقع في الحرام، فاستحق العقاب.^{٣٦}
- و هذا تشبيه ملفوف لأنه تشبيه بالمحسوس الذي لا يخفى حاله، حيث شُبّه المكلف بالراعي والنفس البهيمية بالأنعام والمشتبهات بما حول الحمى والمحارم بالحمى وتناول المشتبهات بالرَّعْ حَوْلَ الْحِمَى، فيكون تشبيها ملفوفا باعتبار طرفيه وتمثيلا باعتبار وجهه.

قوله "ألا وإن لكل ملك حمى هذا مثلّ ضربه النبي عليه الصلاة والسلام وذلك أن ملوك العرب كانت تحمي مراعي لمواشيها، وتتوعد على من يقربها،

والخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيتته خوف الوقوع، وغير الخائف يقرب منها، ويرعى في جوانبها، فلا يأمن من أن يقع فيها من غير اختياره، فيعاقب على ذلك والله تعالى أيضا حمى وهو المعاصي، فمن ارتكب شيئا منها، استحق العقوبة، ومن قاربه بالدخول في الشبهات يوشك أن يقع فيها.^{٣٧}

وفائدة التمثيل هو التنبيه بالشاهد على الغائب وايضا في اختصاص التمثيل بذلك نكتة وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لمراعي مواشيهم أماكن مختصة يتوعدون من يرعى فيها بغير إذنه بالعقوبة الشديدة، فمثل لهم النبي صلى الله عليه وسلم بما هو مشهور عندهم فالخائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه في شيء منه، فيعده أسلم له ولو أشدت حذره، وغير الخائف المراقب يقرب منه، ويرعى من جوانبه، فلا يأمن أن تنفرد الفأزة فتقع فيه بغير اختياره، أو يحل المكان الذي هو فيه ويقع الخصب في الحمى فلا يملك نفسه أن يقع فيه فالله سبحانه وتعالى هو الملكُ حقاً، وحماء محارمه.^{٣٨}

قال الامام بدرالدين العيني في عمدة القاري هذا تشبيه حال من يدخل في الشبهات بحال الراعي الذي يرعى حول المكان المحظور بحيث أنه لا يأمن الوقوع فيه.^{٣٩}

الحديث الثالث

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما مثلي ومثلي أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراس يقعن فيها فأنا أخذ بحزكم وأنتم تقحمون فيه.^{٤٠}

مفهوم الحديث :

مثلي ومثلي الناس بفتح الميم أي صفتي وحالي وشأني في دعائهم إلى الإسلام المنفذ لهم من النار ومثلي ما تزين لهم أنفسهم من التماذي على الباطل كمثل رجل إلى آخره وهذا من تمثيل الجملة بالجملة والمراد من ضرب المثل الزيادة في الكشف والتنبيه للبيان، قوله استوقد نارا أي أوقد نارا يؤيده ما وقع في رواية مسلم وأحمد من حديث جابر مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا، وقال بعضهم زيادة السين والناء للإشارة إلى أنه عالج إيقادها وسعى في تحصيل آلتها. ومعنى الاستفعال

الطلب و قد يكون صريحا نحو استكتبته أي طلبت منه الكتابة وقد يكون تقديرا نحو استخرجت الوتد من الحائط وليس فيه طلب صريح، واستوقد ههنا من هذا القبيل، والنار جوهر لطيف مضيء محرق حار، والنور ضوءها ، ومعنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يبين لامته ان صفته في هداية البشر كرجل يمنع الفراش من الوقوع في النار وأن البشر كالفراش الذي يحاول أن يقع بنفسه في النار ويحرص على الهلاك.

قال ابن العربي هذا مثل كثير المعاني والمقصود أن الخلق لا يأتون ما يجرمهم إلى النار على قصد الهلكة وإنما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة كما أن الفراش يقتحم النار، لا ليهلك فيها، بل لما يصحبه من الضياء وقد قيل إنها لا تبصر بحال وهو بعيد جدا.^{٤١}

بلاغة الحديث:

- المشبّه هو مخالفو رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- المشبّه به هو الفراش.
- وجه الشبّه: هو اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه.

قال النووي: إنه شبّه المخالفين له بالفراش وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع في ذلك، ومنعه إياهم، والجامع بينهما اتباع الهوى وضعف التمييز، وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه.^{٤٢}

الحديث الرابع

عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم : "مثل المومن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب. والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها".^{٤٣}

مفهوم الحديث:

إن الحديث يشتمل على التشبيه الذي هو في الحقيقة وصف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرز عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد ثم إن كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره وإن العباد متفاوتون في ذلك فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ ومنهم من لا نصيب له البتة، وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرئي أو بالعكس، وهو المؤمن الذي لم يقرأه وإبراز هذه المعاني وتصويرها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث ولم يجد ما يوافقها ويلايمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك لأن المُشَبَّهَات والمُشَبَّهَ بِهَا واردة على التقسيم الحاضر لأن الناس إما مؤمن أو غير مؤمن والثاني إما منافق صرف أو ملحق به والأول إما مواظب عليها فعلى هذا قس الأثمار المُشَبَّهَ بِهَا.

بلاغة الحديث:

التشبيته في الحديث هو كالاتي:

- المشبه هو المؤمن القارئ وغير القارئ والمنافق القارئ وغير القارئ.
- المشبه به هو الأترجة والتمر والريحانة والحنظلة.

وجه الشبه الطعم والريح وهو مركب منتزع من أمرين محسوسين طعم وريح وقد ضرب النبي المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال فإنها من ثمرات النفوس، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن وبما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق تنبيها على علو شأن المؤمن وارتفاع علمه ودوام ذلك وتوقيفا على ضعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه قوله مثل الذي يقرأ فيه إثبات القراءة على صيغة المضارع وفي قوله لا يقرأ بالنفي ليس المراد منها حصولها مرة ونفيها بالكلية بل المراد منها الاستمرار والدوام عليها وأن القراءة دأبه وعادته.^{٤٤}

الحديث الخامس

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تَعَاهَدُوا القرآنَ فوالذي نفسي بيده لهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا.^{٤٥}

مفهوم الحديث:

شبه القرآن وكونه محفوظا على ظهر قلب بالإبل الآبدة النافرة وقد عقل عقلها وشد بذراعيها بالحبل المتين وذلك أن القرآن ليس من كلام البشر بل كلام خالق القوى والقدر وليس بينه وبين البشر مناسبة قريبة، لأنه حادث، وهو قديم والله سبحانه بلطفه العميم من عليهم ومنحهم هذه النعم العظيمة فينبغي تعاهده بالحفظ والمواظبة ما أمكن^{٤٦} فإن الذي يداوم على ذلك يذل له لسانه ويسهل عليه قراءته فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه. وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورا وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة^{٤٧} وفي رواية أيوب عن نافع عند مسلم فإن عقلها؟ حفظها، قوله وأن أطلقها ذهبت أي انفلتت وفي رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عند مسلم أن تعاهدها صاحبها فعقلها أي أمسكها وان أطلق عقلها ذهبت.^{٤٨}

بلاغة الحديث:

المشبه هو القرآن الكريم وكونه محفوظا عن ظهر قلب.
المشبه به هو الإبل الآبدة النافرة وقد ربط بالحبل المتين.
وجه الشبه هو استمرار التعهد و المواظبة عليه.
شبه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد فما زال التعاهد موجودا فالحفظ موجود. كما أن البعير ما دام مشدودا بالعقال، فهو محفوظ.

الحديث السادس

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان).^{٤٩}

مفهوم الحديث:

يبين الحديث اركان الإسلام الخمسة و هي شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله، و هذه الكلمة في الحقيقة مدخل المرء الى الاسلام، ولا يصح

القيام بالاركان الاربعة الباقية إلا بعد الدخول الى مبنى الاسلام عبر هذا الممر، ثم قال: وإقام الصلاة وهي كناية عن الإتيان بها بشروطها وأركانها وقوله وإيتاء الزكاة فيه شينان: أحدهما إطلاق الزكاة الذي هو في الأصل مصدر أو اسم مصدر على المال المخرَج للمستحق والآخر حذف أحد المفعولين للعلم به لأن الإيتاء متعد إلى مفعولين والتقدير إيتاء الزكاة مستحقيها وقوله والحج فيه حذف أيضا أي وحج البيت والألف واللام فيه بدل من المضاف إليه، أي وحج بيت الله الحرام، وقوله وصوم رمضان فيه حذف أيضا أي وصوم شهر رمضان. ووجه الحصر في هذه الخمسة هو أن العبادة إما قولية وهي الشهادة أو غير قولية فهي إما تركي وهو الصوم أو فعلي وهو إما بدني وهو الصلاة أو مالي وهو الزكاة أو مركب منهما وهو الحج.^{٥٠}

بلاغة الحديث:

لقد ذكر العلماء عدة وجوه في التشبيه الذي ورد في الحديث، نلخصها كما يلي:

- ١ - الإستعارة بالكناية والاستعارة الترشيفية: حيث انه شَبَّه الإسلام بمبنى له دعائم فذكر المشبَّه وطوى ذكر المشبَّه به وذكر ما هو من خواص المشبَّه به وهو البناء ويسمى هذا استعارة ترشيفية.
- ٢ - الإستعارة التمثيلية: بأن تمثل حالة الإسلام مع أركانه الخمسة بحالة خباء أقيمت على خمسة أعمدة وقطبها الذي تدور عليه الأركان هو شهادة أن لا إله إلا الله وبقية شعب الإيمان كالأوتاد للخباء.
- ٣ - الإستعارة التبعية: بأن تقدر الاستعارة في بني والقرينة الإسلام شَبَّه ثبات الإسلام وإستقامته على هذه الأركان ببناء الخباء على الأعمدة الخمسة ثم تسري الإستعارة من المصدر إلى الفعل وقد علمت أن الإستعارة التبعية تقع أولاً في المصادر ومتعلقات معاني الحروف ثم تسري في الأفعال والصفات والحروف.
- ٤ - الإستعارة المكنية: وهذا هو الأظهر بأن تكون الإستعارة في الإسلام والقرينة بني على التخيل بأن شبه الإسلام بالبيت ثم خيل كأنه بيت على المبالغة ثم أطلق الإسلام على ذلك المخيل ثم خيل له ما يلزم البيت المشبَّه به من البناء ثم أثبت له

ما هو لازم البيت من البناء على الإستعارة التخيلية ثم نسب إليه ليكون قرينة مائعة من إرادة الحقيقة.

وختاماً للبحث أن الأحاديث النبوية بصفة عامة وأمثال النبوية بصفة خاصة تُعدُّ من النصوص الأدبية وهي مرجع ثان بعد القرآن الكريم للأدب الإسلامي، وقد اوتيت النبي الكريم عليه الصلاة والتسليم جوامع الكلم وأقوال الرسول عليه الصلاة والسلام أحاديثه المباركة جامعة وشاملة الى كل ناحية علما وأدبا، شريعة وحكمة وهذه الأمثال المذكورة في الأحاديث النبوية هي اشد تأثيراً على قلوب السامعين والقارئین ويصغى اليها الناس وأدعى اسلوباً لدعوة الحق وهذا النوع من الأدب أميل منهاجاً لإصلاح الفرد والمجتمع.

نسأل الله تعالى التوفيق للعلم والعمل جميعاً.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى اله وصحبه أجمعين برحمتك

يا ارحم الراحمين.

الهوامش

^١ لفظ الحديث هو عن النواس بن سمران رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عزوجل ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً على كنفى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو على راس الصراط وداع يدعو من فوقه ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فالأبواب التي على كنفى الصراط حدود الله لا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف ستر الله والذي يدعو من فوقه واعظ الله عزوجل رواه أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني في مسنده ج: ٤ ص: ١٨٣ رقم الحديث: ١٧٦٧٣ وهو حديث صحيح متنا و اسناده حسن والحديث من مرويات نواس بن سمران

^٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بين بنيانا فأحسنه وأجمله فجعل الناس يطيفون به يقولون ما رأينا بنيانا أحسن من هذا إلا هذه اللبنة فكنت أنا تلك اللبنة رواه مسلم في صحيحه ط: : دار إحياء التراث العربي - بيروت ج: ٤ ص: ١٧٩٠ رقم الحديث: ٢٢٨٦، هو: مسلم بسن

الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري

^٣ الحديث هو جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بين دارا وجعل فيها مائدة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ومن لم يجيب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة

والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس رواه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي في صحيحه (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقضاء بسنن رسول الله رقم الحديث: ٦٧٣٨ ج: ٦، ص: ٢٦٥٥

^٤ الحديث رواه البخاري (كتاب الزهد عن رسول الله ، باب ماجاء في اخذ المال بحقه ، رقم الحديث ٢٢٩٩

^٥ الحديث رواه أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني في المسند ج: ١ ص: ٣٢٩ رقم الحديث: ٣٠٤٨

^٦ مختار الصحاح : لمحمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ط: مكتبة لبنان الناشران بيروت ص: ج: ١ ص: ٦٤٢

^٧ انظر: التوقيف على مهمات التعاريف : للمحمد عبد الرؤوف المناوي ط : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق الطبعة الأولى ، ١٤١٠ ص: ٦٣٦

^٨ انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن للشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ط: دار الصحابة للتراث بطنطا القاهرة الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ ص: ٦٠

^٩ - التوقيف على مهمات التعاريف ج: ١ ص: ٦٣٦ : محمد عبد الرؤوف المناوي دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت ، دمشق الطبعة الأولى ، ١٤١٠

^{١٠} انظر مختار الصحاح

^{١١} اكتشاف اصطلاحات الفنون، للقاضي محمد علي التهانوي، سهيل اكادمي، لاهور باكستان، الطبعة الأولى ١٩٩٣/٥١٤١٣، ج١، ص٧٩٦، بحث التشبيه

^{١٢} مفتاح العلوم للسكاكي، يوسف ابن أبي بكر دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٤١؛ المنهل العذب في الدراسة الأدبية والاعراب والبلاغة، الدكتور محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩/٥١٤٢٠، ص٣١٤

^{١٣} صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم

^{١٤} التعريفات للجرجاني ص: ٨١ وانظر: التعاريف للمناوي ص: ١٧٧

^{١٥} أنظر: لسان العرب: للمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ط : دار صادر - بيروت ج: ٤ ص: ٦١٢

^{١٦} - لسان العرب ج: ٤ ص: ٦١٢

^{١٧} - دلائل الإعجاز لأبي كر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني در الكتاب العربي - بيروت لطبعة الأولى ، ١٩٩٥ حقيق : د. محمد التنحي

^{١٨} - التعريفات علي بن محمد بن علي الجرجاني دار الكتاب العربي - بيروت ص: ٣٦

^{١٩} - أنظر التعريفات للجرجاني

^{٢٠} - نفس المرجع

^{٢١} - مختار الصحاح ، ص: ١١٩

^{٢٢} - الكتاب : الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى

ط : دار الفكر المعاصر - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١١

^{٢٣} - التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، ص: ٢٥٩

- ٢٤ - رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث: ٥٠
- ٢٥ - عمدة القاري: ج: ٢٢ ص: ١٠٦-١٠٧
- ٢٦ - شرح النواوي على مسلم ج: ١٦ ص: ١٣٩ الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت
- ٢٧ - فتح الباري: ج: ١٠ ص: ٤٣٩ الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي
- ٢٨ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث: ٥٠: ج: ١٠ ص: ٤٣٩
- ٢٩ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث: ٥٠
- ٣٠ - رواه البخاري في كتاب البيوع، باب: الحلال يبين والحرام بين بينهما مشتبهات
- ٣١ - سورة المائدة، رقم الآية: ٥
- ٣٢ - سورة النساء رقم الآية: ٢٤
- ٣٣ - سورة النساء رقم الآية: ٢٣
- ٣٤ - سورة المائدة، رقم الآية: ٩٦
- ٣٥ - شرح اربعين النواوي، رقم الحديث: ٦، ص: ٢٦
- ٣٦ - عون المعبود شرح ابي داود (كتاب البيوع، باب في اجتناب الشبهات، رقم الحديث: ٢٨٩٢) ج: ٩ ص: ١٢٨
- ٣٧ - عمدة القاري (كتاب البيوع، باب: الحلال يبين والحرام بين بينهما مشتبهات ج: ١ ص: ٣٠٢
- ٣٨ - فتح الباري (نفس الكتاب ونفس الباب، ج: ١ ص: ١٢٨
- ٣٩ - عمدة القاري (نفس الكتاب ونفس الباب، ج: ١ ص: ٣٠٢
- ٤٠ - رواه مسلم (كتاب الفضائل، باب شفقتة على امته ومبالغته في تحذيرهم بما يضرهم رقم الحديث ٢٢٨٤ باب اشفقته صلى الله عليه وسلم على امته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم
- ٤١ - عمدة القاري (كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي رقم الحديث: ٦٠٠٢ ج: ١٦ ص: ١٧
- ٤٢ - الجامع الصحيح المسلم، كتاب الفضائل، باب شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على امته ومبالغته في تحذيرهم ما يضرهم، حديث عمر ٢٢٨٤
- ٤٣ - رواه البخاري (كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، رقم الحديث: ٤٦٣٢ ج: ٤ ص: ١٩١٧ الرقم ٤٧٣٢
- ٤٤ - عمدة القاري (نفس الكتاب ونفس الباب ج: ٢٠ ص: ٣٨
- ٤٥ - رواه البخاري (كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، رقم الحديث: ٤٦٤٥ ج: ٤ ص: ١٩٢١ الرقم: ٤٧٤٦ أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب فضائل القرآن وما يتعلق به
- ٤٦ - فيض القدير ج: ٣ ص: ٢٤٩
- ٤٧ - بتصرف من عمدة القاري (نفس الكتاب ونفس الباب) ج: ٢٠ ص: ٤٩
- ٤٨ - فتح الباري (نفس الكتاب ونفس الباب) ج: ٩ ص: ٧٩
- ٤٩ - رواه البخاري (كتاب الإيمان، باب بني الاسلام على خمس) ج: ١ ص: ١٢ الرقم: ٨

٥٠ - فيض القدير ج: ٣: ص: ٢٠٨